

## د. رؤوف عباس رائد مدرسة التاريخ الاجتماعي في الوطن العربي

5 يوليو 2008

القاهرة "الخليج":

في بيت من بيوت عمال السكك الحديدية في محطة بورسعيد التي كانت تقع مقابل ثكنات جيش الاحتلال البريطاني آنذاك، ولد المؤرخ المصري رؤوف عباس في 24 أغسطس/ آب عام 1939، لأب قاهري المولد صعيدي الأصل، وأم بورسعيدية من أصل دمياطي، وكشأن غيره من عمال السكك الحديدية تنقل الوالد طوال خدمته بين أكثر من محافظة ثم أنهى خدمته بالقاهرة.

يعترف د. عباس الذي رحل في 26 يونيو/ حزيران 2008 بأن الحياة التي عاشتها أسرته بين القرى والمدن، زودته بخبرات أثرت في توجهاته الفكرية في مرحلة الشباب، دعمتها خبراته بحياة الحرفيين والعمال، التي اكتسبها من سنوات الطفولة والصبا حيث عاش مع جدته لأبيه في القاهرة، عندما اضطر أبوه إلى أن يلحقه بأحد الكتاتيب ثم المدرسة الابتدائية والتعليم الثانوي.

حصل رؤوف عباس على الثانوية العامة عام 1957، ليلتحق بكلية الآداب جامعة عين شمس، وكان لأستاذه أحمد عبد الرحيم مصطفى فضل كبير عليه، فقد فتحت محاضراته أمامه آفاقاً جديدة، ومنه تعلم أعمال الفكر والخضاع كل شيء للنقد وتكوين الرأي، وتأثر أيضاً بأستاذه أحمد عزت عبد الكريم، الذي تعلم منه أسلوب البحث والتدرب على الأصول المنهجية للكتابة التاريخية، وقدر له أن يعد رسالتي الماجستير والدكتوراه تحت إشرافه.

تخرج د. عباس في مايو/ أيار 1961، ثم عين في إحدى الشركات الصناعية في فبراير/ شباط 1962، وكانت الشركة تموج بحركة نقابية ناشطة لإسقاط النقابة القديمة، وأثناء ذلك راح يبحث عن كتاب يدل على تاريخ النقابات المصرية، فلم يجد إلا كتاباً بالإنجليزية عن الحركة النقابية بإنجلترا، ومن ثم كانت دراسته للحركة العمالية المصرية (1899 - 1952) موضوعاً لرسالة الماجستير.

وأتاح له دراسة الحركة العمالية أن يتعمق في فهم الفكر الاشتراكي، فتأثر تأثراً بالغاً بدراسة

رائدة قدمها د. محمد أنيس، عن المجتمع المصري من الإقطاع إلى الرأسمالية، وطبق فيها التفسير المادي للتاريخ، وتعلم عباس من أنيس عن قرب عندما عين معيدا في قسم التاريخ في آداب القاهرة عام 1967 وعلى الرغم من ذلك ظل مرتبطا بكلية الآداب جامعة عين شمس فأعد أطروحة الدكتوراه تحت إشراف أحمد عزت عبد الكريم عن "الملكيات الزراعية الكبيرة في مصر في القرن التاسع عشر" ومنذ ذلك التاريخ قدر له أن يكون مدرسة في التاريخ الاجتماعي، بها تلاميذ، أثروا المكتبة العربية بالكثير من الدراسات المهمة التي أعدت تحت إشرافه.

ثم أتيح له أن يذهب إلى اليابان للعمل زميلا زائرا في معهد اقتصاديات الدول النامية، ليشترك في مجموعة بحث تهتم بالدراسة المقارنة للتطور الاجتماعي في مصر واليابان في القرن التاسع عشر، فتعرف إلى التجربة اليابانية للنهضة من خلال كبار المتخصصين في التاريخ الاجتماعي والسياسي هناك، وأثمرت تلك التجربة أول دراسة بالعربية عن "المجتمع الياباني في عصر مايجي" كما قدم دراسة أخرى صدرت عام 1990 بالإنجليزية في طوكيو ثم بالعربية عام 2000 وقارن فيها بين التنوير في مصر واليابان مع المقارنة بين رفاة الطهطاوي وفوكوز واويكيتشي.

ودعته الجامعات الأوروبية والأمريكية أستاذا زائرا فألقى محاضرات على طلبة الدراسات العليا في جامعة السوربون بباريس وعدد من الجامعات الألمانية والأمريكية، وشارك في العديد من لمؤتمرات الدولية ببحوث نشرت في كتب ضمت أعمال تلك المؤتمرات، وكان أول تكريم يلقاه على المستوى الدولي، عندما اختارته جمعية دراسات الشرق الأوسط في أمريكا ضيف شرف لمؤتمرها السنوي (1990) فكان بذلك أول عربي عالم تكرمه الجمعية، وجاء تكريم الدولة له في مصر بحصوله على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية (1999) تتويجا لحياة علمية حافلة بالعطاء.

وقد أهله سمعته العلمية والشخصية لتولي عدة مناصب خارج الجامعة، فكان رئيسا لوحدة الدراسات التاريخية في مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية كما كان رئيسا للجنة العلمية في مركز وثائق تاريخ مصر المعاصر في دار الكتب، وانتخب في عام 1999 رئيسا للجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وفي عهده كانت لها الصدارة بين الجمعيات العلمية داخل وخارج وطنه مصر.

ولقد خاض د. رؤوف عباس معركته مع الصهاينة مبكرا حين سافر إلى طوكيو في ابريل/ نيسان 1972 في مهمة علمية مدتها عشرة أشهر، ففي معهد اقتصاديات الدول النامية، كما اعتاد أن يفعل كل صباح بدأ يومه بقراءة الصحف اليابانية التي تصدر بالإنجليزية ولفت نظره خبر صغير نشر بالصفحة الأولى يفيد بأن مؤسسة اليابان (وهي مؤسسة معنية بالتبادل الثقافي تتبع وزارة الخارجية) قد تلقت طلبا من جامعة تل أبيب لإقامة قسم للغة اليابانية فيها،

بتمويل كامل من المؤسسة، وذكرت الجريدة أن الطلب موضوع الدراسة.

وكانت الدعاية "الإسرائيلية" المعادية للعرب تستثمر هزيمة 1967 وتأثيرها السلبي في النظرة إلى العرب في اليابان خير استثمار، فكلف سرا ثلاثة من أساتذة الأدب العبري باليابان، بإعداد كتاب نشر باليابانية والإنجليزية معا، بعنوان "اليابانيون واليهود" ونسب إلى مؤلف وهمي، زعم أنه عاش ثلاثين عاما في مدينة "كوبي" قضاها في تأمل التشابه الكبير بين اليابانيين واليهود من حيث القدرات الحضارية الفائقة والبراعة في الأمور الاقتصادية.

وكتب د. رؤوف عباس مقالا، بين فيه بالأرقام أن مصلحة اليابان مع العرب وأن سياستها الخارجية يجب أن تستمد توجهاتها من المصالح الحيوية لليابان ووجه اللوم إلى الحكومة اليابانية لشرائها البترول المصري الذي سرقتة "إسرائيل"، كان ذلك في ربيع 1973 وجاءت حرب أكتوبر/ تشرين الأول وصدمة البترول لتغير من وجهة النظر اليابانية تجاه العرب، وتكشف عن كانوا وراء كتاب "اليابانيون واليهود".

وعودة إلى الخبر الذي قرأه د. عباس، فقد طلب من أحد أصدقائه أن يتيح له لقاء رئيس "مؤسسة اليابان"، وعندما التقاه قال له إن إنشاء قسم ثان للغة اليابانية في "إسرائيل" لن يخدم المصالح الحيوية للشعب الياباني التي تتطلب مد جسور التفاهم مع الشعوب العربية وأن الثقافة هي المجال الأرحب لفهم الشعوب لبعضها البعض وأن إنشاء القسم المطلوب لن يفيد سوى حفنة من طلاب "إسرائيل" بينما لو أنشئ القسم في القاهرة لكان مفتوحا أمام جميع الطلاب العرب، ولأصبح نافذة يطل منها العرب على الثقافة اليابانية. ورد عليه رئيس المؤسسة بأن كل ما يملك أن يفعله هو تأخير الرد على الطلب "الإسرائيلي" مدة شهر، فإذا وصله طلب مماثل من الحكومة المصرية تم النظر في الطلبين معا وترجيح ما ترى فيه المؤسسة مصلحة اليابان، وبعد شهر من الرحلات المكوكية بين اليابانيين والسفارة المصرية والجامعة في القاهرة، تكلفت جهود د. رؤوف عباس بالنجاح، إذ اتخذت مؤسسة اليابان قرارا بإنشاء قسم للغة اليابانية وآدابها في كلية الآداب جامعة القاهرة، وبدأت الدراسة الحرة فيه في العام الدراسي 1973 1974.

<http://www.alkhaleej.ae/portal/a616a4cb-d9f1-49f2-b3dc-101356529afd.aspx>